دروس في الفلسفة الاسلامية

شرح موسّع للمنظومة

منشورات طليعه نور
اسم الكتاب: دروس في الفلسفة الإسلامية ج ١
المؤلف: الشيخ مرتضى المطهري
المترجم: د. عبد الجبار الرفاعي
تاريخ الطبع: ١٤٢٩ (الطبعة الثانية)
عدد المطبوع: ١٠٠٠ نسخة
المطبعة: قلم
مركز التوزيع: مكتبة الصفا - هاتف: ٧٧٤٠٣٣٣
شابك ٣-٨٦-٧٠٥٢-٩٦٤(جلد ١)
شابك X ٨٨-٧٠٥٢-٩٦٤ (دوره ٤ مجلدات) ISBN 964-7052-88X(4VOL.SET)
حقوق الطبع محفوظة لمركز دراسات فلسفة الدين - بغداد

دروس في الفلسفة الإسلامية

شرح موسّع للمنظومة

تأليف: الشيخ مرتضى المطهري

ترجمة: د. عبد الجبار الرفاعي

الجزء الأول

مركز دراسات فلسفة الدين ـ بغداد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم

قدم الشيخ مرتضى المطهري مساهمات كبيرة في تحديث دراسة المعقول الإسلامي، حين انبرى لتدريس المنطق، والفلسفة، وعلم الكلام في الحوزة العلمية في قم وكلية الالهيات في جامعة طهران بأسلوب معاصر، ارتكز على بيان الجذور التاريخية للنظريات والمقولات الفلسفية، سعيا للوصول إلى نسبها الفكري، ولحظة تأسيسها، كما اهتم بمتابعة تطور طريقة بحثها وكيفية البرهنة عليها، ومن ثم اكتشاف علاقتها بالأفكار والنظريات الأخرى المناظرة لها، التي بحثها فلاسفة الغرب أو الشرق، كذلك أسهم الشهيد المطهري ـ تبعا للمنهج الذي أشاد أركانه صدر المتألهين ـ في عقلنة ما قد يبدو لامعقولا في التراث الإسلامي، كما يبدو ذلك في قراءاته للعرفان الإسلامي، وكشفه لما يزخر فيه من تجليات وإشراقات، تعبر عن الطاقة الروحية للإنسان، وما يمكن أن تملأه من فضاءات رحبة، لم تستوعبها الفلسفات الحديثة، كما لم يملأها المعقول الكلاسيكي.

ويقف المطهري على رأس مجموعة من العلماء من تلامذة الفيلسوف الإسلامي العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، ممن أغنوا المكتبة الإسلامية بعدد وفير من الكتابات المنهجية، التي اشتدت الحاجة لها في السنوات الأخيرة، بعد ماعرفناه من الإهمال والنفي الذي تعرض له الموروث المعرفي الإسلامي على يد بعض المنبهرين بالغرب في ديارنا.

وبفضل الجهود المباركة التي بذلها المطهري وعلماء آخرون، تنامى الدرس الفلسفي في الحوزات العلمية والجامعات في ايران، بصورة ليس لها نظير فى الحواضر العلمية التقليدية الأخرى في العالم الإسلامي؛ ولذا يمكن القول: ان أبرز حاضرة إسلامية لدراسة، وتدريس، وإعادة تدوين، المعقول الإسلامي هي الحوزة العلمية في قم، التي لا يعرف حقيقة الدرس الفلسفي فيها وانجازاته إلا من درس الأعمال الفلسفية للعلامة الطباطبائي، وتلامذته، الذين يعد في طليعتهم المطهري.

إن من يقرأ بالفارسية يمكنه متابعة الدوريات التي تصدر في إيران، والتعرف على آثار الباحثين الإيرانيين في الفلسفة الإسلامية، وكيف أسهم تطور الدرس الفلسفي لديهم، في نقل الحوار حول قضايا التحديث والأسلمة والتطبيق خطوات أساسية إلى الأمام، على يد دارسي الفلسفة من تلامذة العلامة الطباطبائي، وتلامذة الشهيد المطهري.

ومما يدعو للأسف ان المثقفين في البلاد العربية لم يلتقوا فكر الشهيد المطهري، ولم يتعرفوا على أعماله الفلسفية، بسبب الجهل أو التجاهل الذي يبديه بعض أساتذة الفلسفة في ديارنا.

فكم هي الترجمات التي أغرقت أسواقنا الثقافية من الفرنسية، والإنجليزية، والألمانية، ولكن من النادر أن نعثر على أعمال مدونة باللغات الشرقية (الفارسية، التركية، الأردية، البنغالية...وغيرها) منقولة إلى العربية، وإن اهتم بعض الناشرين في السنوات التي تلت انتصار الثورة الإسلامية في إيران بنقل بعض الكتب الفارسية التي تهم الأوساط الشعبية إلى اللغة العربية.

ويعتبر الفكر الفلسفي للشهيد المطهري نموذجا واضحا على حالة الإهمال في الأوساط الثقافية العربية، إذ لم ينقل منه للعربية سوى بعض المحاضرات، والرسائل الموجزة، والأعمال الثانوية، فيما ظلت بعض أعماله الأساسية غائبة عن القارئ العربي.

في ضوء ذلك جاءت محاولتنا هذه لتعريف القارئ العربي بالإنجازات الفلسفية للعلامة مرتضى المطهري، والتي وقع الاختيار في أولها على تعريب شرح المنظومة، الذي نشر بالفارسية تحت عنوان (شرح مبسوط منظومه) في مجلدات أربعة، وهذا الشرح واحد من ثلاثة شروح، هي:

١ ـ شرح المنظومة المختصر (بالفارسية): وهو يتألف من محاضرات ألقاها الشهيد المطهري على طلاب قسم الفلسفة في كلية الإلهيات في جامعة طهران، وقد نقله الى العربية السيد عمار أبو رغيف.

٢ ـ شرح المنظومة المبسوط (بالفارسية): وهو يتألف من مجموعة محاضرات ألقاها الشهيد المطهري على مجموعة من الباحثين في الفلسفة الإسلامية في منزله، بعد عام (١٣٩٦ هـ)، وسيأتي بيان ملامح المنهج في هذا الكتاب عند الحديث عن منهج الدرس الفلسفي للشهيد المطهري، وهو هذا الكتاب الماثل بين أيدينا.

٣ ـ تعليقة على شرح المنظومة (بالعربية): وهو تقرير دونه أحد تلامذة الشيخ المطهري، اقتطفه من تدريسه في مدرسة مروي في طهران، ثم راجعه وصححه الشيخ نفسه، وهذا الكتاب لم يطبع حتى الآن.

أما أبرز الأعمال الفلسفية الأخرى للعلامة المطهري فهي:

٤ ـ الحركة والزمان في الفلسفة الإسلامية: وهو محاضرات في شرح مبحث القوة والفعل من كتاب الأسفار لملا صدرا، صدر منه خمسة أجزاء.

٥ ـ دروس إلهيات الشفاء: وهو محاضرات في شرح الإلهيات من كتاب الشفاء لابن سينا، صدر منه عدة مجلدات.

٦ ـ مقالات فلسفي: وهو مجموعة دراسات ومحاضرات في الفلسفة الإسلامية وتاريخها، والعلوم الاجتماعية، كتبت أو القيت في مناسبات مختلفة، ثم صدرت في ثلاثة أجزاء، نقلنا للعربية المحاضرات الفلسفية منها، ونشرت بعنوان: «محاضرات في الفلسفة الاسلامية».

٧ ـ حاشية على أصول الفلسفة: النص الأساسي لأصول الفلسفة عبارة عن مجموعة دراسات معمقة مكثفة في أسس الفلسفة الإسلامية والمذهب الواقعي، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، وقد كتب عليها تلميذه الشهيد المطهري حاشية مفصلة، فبلغ المتن والحاشية خمسة مجلدات، نقل منها الشيخ محمد عبد المنعم الخاقاني المجلدين الأول والثاني إلى العربية، كما قام بتعريبها بتمامها السيد عمار أبو رغيف.

تلك هي أبرز الدراسات التي أنجزها الشهيد المطهري، وهي لاتضم كل أعماله الفلسفية، والتي ليس أقلها الإشراف على اثنتين وعشرين أطروحة دكتوراه، وعشرين اطروحة ماجستير، قدمت في قسم الفلسفة في كلية الإلهيات والمعارف الاسلامية في جامعة طهران، في الفترة الواقعة بين عامي ١٣٨٥ هـ ـ ١٣٩٦ هـ .

منهج الدرس الفلسفي للشهيد المطهري:

اتسمت الأعمال الفلسفية للمطهري بالدقة والعمق والموسوعية، مع الوضوح والاستيعاب والتفصيل، حتى اضحت أعقد النظريات الفلسفية ميسرة، سلسة، واضحة، لديه، ولعل بحثه في بيان مسألة وحدة الوجود أجلى مصداق لذلك. هذه المسألة التي زلت فيها أقدام كثيرة، وكانت محورا لسجالات ومناظرات جماعة من دارسي التراث الفلسفي والعرفاني، حيث استطاع المطهري بما أوتي من قدرة بيانية، وبما يستعين به من أمثلة، أن يجليها بصورة دقيقة متقنة ميسرة.

وبذلك أصبحت تلك المسائل المعمقة الدقيقة في متناول قطاع كبير من المهتمين بالتراث الإسلامي، فيما كانت قبل ذلك حكرا على طائفة محدودة من المتخصصين من أساتذة الفلسفة.

لقد استطاع الشهيد المطهري تعميم الثقافة الفلسفية، واشاعة التفكير

العقلي، والدعوة للتفكير الصحيح، من خلال جهوده الجبارة التي تواصلت لسنوات طويلة في تدريس الفلسفة الإسلامية، وإعادة تدوين العلوم العقلية عند المسلمين وشرحها.

وعلى يديه تنزلت الفلسفة من عليائها، وتحولت إلى ثقافة ميسرة في متناول الجميع، إذ يتمكن من توفر على المقدمات الأساسية في الدراسات الإسلامية (كالمنطق مثلا) حين يراجع الأبحاث التي أنجزها الشهيد المطهري بدقة من استيعابها بصورة تامة.

واخال ان محاولة تعميم الثقافة الفلسفية بهذا النحو لم ينجزها أحد قبل المطهري.

وسنحاول فيما يأتي أن نواكب الأستاذ المطهري في درسه الفلسفي، كي نقتطف بعض الملامح التي تبلورت في منهج هذا الدرس، والتي يتمثل أبرزها في:

١ ـ اكتشاف الجذور التاريخية للمسائل الفلسفية:

تميز البحث الفلسفي عند المطهري بالتنقيب عن الجذور التاريخية للقضايا المبحوثة، والسعي لاكتشاف لحظة ولادتها، وظروف نشأتها، حتى استطاع أن ينسف بعض الآراء الشائعة حول تاريخ بعض المسائل، ويحدد من جديد أول فيلسوف قال بها، وعصر ظهورها.

لذلك لم يقبل رأي الآخرين في تحديد تاريخ المسائل الفلسفية، إلا بعد الفحص والاستقراء الواسع، وهي سمة انتظم فيها الدرس الفلسفي لديه، وبالذات حين يبحث في المسائل الأساسية في الفلسفة الإسلامية، فدحض بعض الأقوال التي ذهبت الى أن الفلاسفة المسلمين اقتبسوا التراث الفلسفي اليوناني من دون أن يتمثلوه، ويعيدوا إنتاجه، ويكملُوه، وبذلك أبرز الإبداع الفلسفي الإسلامي، الذي توارى خلف تلك الدعاوى مدة طويلة.

فمثلا أثبت أن مسألة أصالة الوجود، والتي هي المرتكز الأساسي لمدرسة الحكمة المتعالية لصدر المتألهين، من المسائل المستحدثة في الفلسفة الإسلامية، إذ لم تكن مطروحة في فلسفة أرسطو، أو الفارابي، أو ابن سينا، وإنما طرحت هذه المسألة للمرة الأولى في عصر الميرداماد ـ أستاذ صدر المتألهين ـ الذي تبنى القول بأصالة الماهية، ثم أشاد من بعده تلميذه ملا صدرا أركان القول بأصالة الوجود، حتى أضحت محورا للمكاسب الفلسفية المتعددة له[١].

كذلك اعتمد المطهري المنهج ذاته في بحث تاريخ مسألة وحدة وكثرة الوجود[٢]، وكذا مسألة الوجود الذهني[٣]، ومسألة الجعل[٤]، والإمكان الاستعدادي[٥]، والمعنى الحرفي والمعنى الاسمي[٦]، والحدوث الذاتي والحدوث الزماني[٧]، وحدوث العالم[٨]... وغيرها من المسائل.

٢ ـ الكشف عن الإنجازات الفلسفية للإسلاميين:

ذهب جماعة من الباحثين الغربيين الى ان المسلمين لم يتمكنوا من إبداع أية فلسفة خاصة بهم، وكل مالديهم من أفكار فلسفية هو استنساخ للفلسفة اليونانية، التي قاموا بتدوينها باللغة العربية، كما صرح بعضهم بذلك في قوله:

---

(١) راجع بحث تاريخ هذه المسألة في كتاب المطهري: شرح مبسوط منظومة (الأصل الفارسي)، طهران: انتشارات حكمت، ط ٥، ١٣٦٧ ش، ج١: ص٥٨ ـ ٦٤ .

(٢) المصدر السابق، ج١: ص٢٠٩ ـ ٢٢١.

(٣) المصدر السابق، ج١: ص٢٥٦ ـ ٢٦٠، ومقالات فلسفي للمطهري، ج٣: ص١٥٠ ـ ١٦٠.

(٤) المصدر السابق، ج٢: ص٤١٨ ـ ٤١٩.

(٥) المصدر السابق، ج٣: ص٢٢٤ ـ ٢٢٧.

(٦) المصدر السابق، ج٣: ص٣٣٥ ـ ٣٤٠.

(٧) المصدر السابق، ج٤: ص٢٠ ـ ٣٠.

(٨) المصدر السابق، ج٤: ص١٤٦ ـ ١٤٨.

(إذا كنا نلوم النمو الفلسفي والعلمي في العصر العباسي، فهذا يقضي منا الإجابة، بأنه من الخطأ أن نخلع اسم فلسفة عربية على فلسفة لم تكن الا إستعارة عن اليونان، ولم يكن لها أي جذر في شبه الجزيرة العربية، وكل ما هنالك هو أنه كانت توجد فلسفة مكتوبة بلغة عربية، هذا كل شيء...)[1].

بينما برهن العلامة المطهري على إبداع العقل الفلسفي الإسلامي لطائفة من النظريات والمسائل التي احتلت موقعا أساسيا في الدراسات الفلسفية المتأخرة، ومن هذه المسائل التي عنونت لأول مرة في الفلسفة الإسلامية: أصالة الوجود، ووحدة الوجود، والوجود الذهني، وأحكام العدم وامتناع إعادة المعدوم، ومسألة الجعل، ومناط إحتياج الشيء إلى العلة، واعتبارات الماهية، والمعقولات الثانية الفلسفية، وبعض أقسام التقدم، وأقسام الحدوث، وأنواع الضرورة والامتناع والإمكان، وبعض أقسام الوحدة والكثرة، والحركة الجوهرية، وتجرد النفوس الحيوانية، والتجرد البرزخي للنفس الإنسانية علاوة على التجرد العقلي، وكون النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء، والفاعلية بالتسخير، ووحدة النفس والبدن، وكون الزمان بعدا رابعا، وقاعدة بسيط الحقيقة، والعلم البسيط الإجمالي للباري في عين الكشف التفصيلي... وغير ذلك.

أما أبرز المسائل التي طرحت في المنطق فهي: تقسيم العلم إلى التصور والتصديق، واعتبارات القضايا، وتقسيم القضية إلى خارجية وذهنية وحقيقية، وذكر أقسام أخرى للموجهات، وتقسيم القياس إلى اقتراني واستثنائي، وكذلك تفكيك القضية السالبة الطرف عن القضية المعدولة الطرف...وغير ذلك[2].

وحين نمعن النظر في تراث مدرسة الفلسفة الإسلامية المتأخرة (الحكمة

---

(١) مجلة دراسات شرقية ع ٤ (١٩٨٩م)، ص ٥١.

(٢) مطهري، مرتضى، مقالات فلسفي، طهران: انتشارات حكمت، ط١، ١٣٦٩ش، ج٣: ص ٢٩ ـ ٣٢.

المتعالية) نجد ان عناوين المسائل الفلسفية المبحوثة فيه لاتقل عن السبعمائة (٧٠٠) عنوان، بينما لم تتجاوز المسائل الفلسفية التي ورثتها فلسفتنا عن الفلسفة اليونانية المائتي (٢٠٠) عنوان.

هذا فضلا عن أن هذه المسائل الفلسفية والمنطقية الموروثة قد استدلوا عليها ببراهين جديدة، أو اعتمدوا اسلوبا جديدا في البرهنة عليها، كما أن بعض المسائل كانت مبهمة فجلاها الدرس الفلسفي الإسلامي، إذ لم يبق من مباحث الفلسفة اليونانية على حاله إلا القسم الأقل منها[١].

٣ ـ إماطة اللثام عن اشتباهات الفلاسفة الإسلاميين:

تتبع العلامة المطهري آراء الفلاسفة، وحللها بشكل دقيق، وتنبه إلى مواطن السهو والاشتباه فيها، كما نلاحظ ذلك في اكتشافه لأصل الاشتباه الذي وقع فيه صدر المتألهين في كتاب (شرح الهداية) في تعريف الفلسفة، وكيف أن منشأ هذا الاشتباه هو ما ذكره شيخ الإشراق شهاب الدين السهروردي[٢].

كذلك ألمح غير مرة إلى عدم دقة الملا هادي السبزواري في تحديد تاريخ بعض المسائل الفلسفية، مثل مانسبه إلى فلاسفة إيران القدماء (الفهلويون) من القول بوحدة الوجود[٣].

أو اشتباهه في فهم بعض المسائل، مثل رأيه في تفسير القضية الحقيقية، ومن ثم تسرب هذا الرأي إلى الدراسات المتأخرة في أصول الفقه من خلال الشيخ مرتضى الأنصاري[٤].

---

(١) راجع في ذلك بحث المطهري المنشور تحت عنوان: «نظرة إجمالية في تطور الفلسفة في الإسلام»، في المصدر السابق، ص ١٣ ـ ٣٢.

(٢) مطهري، مرتضى، شرح مبسوط منظومه، ج ١: ص ٩ ـ ١٠.

(٣) المصدر السابق، ج١: ص٢١٧، ومقالات فلسفي، للمؤلف، ج٣: ص٥٦.

(٤) المصدر السابق، ج١: ص٢٨٩ ـ ٢٩٠.

ومن يراجع الدراسات الفلسفية للشهيد المطهري يلاحظ أنه يشير إلى اشتباهات الفلاسفة في أكثر من موضع، وما استتبع تلك الاشتباهات من آثار في المعارف الاسلامية الأخرى.

٤ ـ اعتماد منهج البحث المقارن:

من أبرز ملامح الدرس الفلسفي عند المطهري، توفره على المقارنة بين أقوال الفلاسفة الإسلاميين في المسألة الواحدة، وبينهم وبين الفلاسفة اليونانيين القدماء، وبينهم وبين الفلاسفة الغربيين المتأخرين، وبالأخص ديكارت وهيغل وكانت، وكذلك المقارنة بين آراء الفلاسفة والعرفاء المسلمين، أو بين نظرياتهم ونظريات علماء المنطق وأصول الفقه واللغة العربية.

ولذا يستطرد أحيانا في البحث الفلسفي فيدرسه بشكل مسهب، ويقف على كل جزء من أجزائه فيحلله، ويلتقط ما أنجزته الدراسات غير الفلسفية بشأنه، حتى يتكامل البحث بين يديه في كافة أبعاده، ويقرر أخيرا رأيه فيه في ضوء المعطيات المستفادة من استقصاء البحث في علوم عديدة.

٥ ـ الوضوح والاستيعاب والتسلسل المنهجي:

أشرنا فيما سبق إلى القدرة المتميزة على التوضيح التي اتسم بها البيان الفلسفي للعلامة المطهري، إلى درجة أصبحت معها أعمق وأدق النظريات الفلسفية في متناول المثقف والدارس غير المتخصص، وهي مزية قلما نعثر عليها في الدرس الفلسفي عند معظم الفلاسفة وأساتذة الفلسفة، الذين صاغوا مصنفاتهم الفلسفية ببيان مكثف معمق، وربما ملغز ومعقد، لايقوى على استيعابه إلا من أمضى شطرا طويلا من عمره في متابعة ودراسة وتدريس الفلسفة.

وبالإضافة إلى توضيح وتيسير المباحث الفلسفية، تميز الدرس الفلسفي للعلامة المطهري بالاستيعاب والشمول لكافة فروع المسألة الفلسفية المبحوثة،

كما تجلى في تدوينه للمسائل التسلسل المنهجي، والاتساق المنطقي، فانتظمت المسائل ومباحثها كسلسلة متماسكة متينة، يقوم بعضها على البعض الآخر.

تلك هي بعض الملامح التي اقتطفناها من الدرس الفلسفي للشهيد المطهري، وهي اشارات عاجلة تحتاج إلى تفصيل وبيان يتناسب والجهود الموسعة للاستاذ المطهري في تدريس الفلسفة الإسلامية، والتي يتجاوز ما جرى نشره منها العشرين مجلدا حتى الآن.

منهج الترجمة

هذا الكتاب كما ألمحنا سابقا يتألف من دروس القاها الشيخ المطهري على مجموعة من الباحثين في الفلسفة الاسلامية، وتم ضبطها على أشرطة التسجيل، ثم قامت (انتشارات حكمت) بنشر هذه الدروس بعد نقلها وتدوينها من تلك الاشرطة، فوقعت في أربعة مجلدات.

من هنا طغى على هذه البحوث الطابع التعليمي المدرسي الذي يبرز فيه الاسهاب، ومن ثم التلخيص، والتكرار، فقد يضطر الاستاذ لتكرار مبحث بتمامه غير مرة في موضعين من الكتاب، لتوقف فهم بعض المباحث عليه، كما يعمد الاستاذ أحيانا لتقديم خلاصة سريعة عن الدرس السابق في الدرس الجديد، وهكذا يحاول الاستاذ الاكثار من الأمثلة، وربما بيان الأفكار والمسائل المماثلة لكي يتضح المطلب، وقد يستطرد في بحث مسائل جانبية، بعد أن يقحم بعض الدارسين تلك المسائل في استفهام يثيره، وربما يتوسع الأستاذ أحيانا في بيان مسائل بسيطة، بسبب ما ينشأ من ارتباك في تصور القضايا الفلسفية أو التصديق بها من قبل الدارسين.

وتأسيسا على ذلك، ولأجل تعميم الاستفادة من الكتاب، التزم المترجم بنقل الكتاب على صورته الأصلية، ولذا أبقى على التكرار والاسهاب والتوسع، بل والمباحث الجانبية، حفاظا على الطابع التعليمي الذي يهدف اليه الكتاب،

كما سعى للحفاظ على نفس بيان المؤلف وعباراته في الغالب، وقلل من التصرف في ذلك، إلا في موارد محدودة حيث يرتبك الحوار بسبب الالتباس في تصور المسألة في ذهن بعض الطلاب، فيعمد المترجم هنا لاقتباس ما هو مفيد من جواب الأستاذ وتدوينه في الهوامش، وقد لا يبرزه على شكل حوار، وربما اختزل المترجم النص في حالات قليلة، فتجاوز بعض التكرار، أو بعض الأمثلة، أو بعض العبارات الاستطرادية، أو بعض الهوامش التي تكررت أفكارها بنفسها في بحوث آتية أو سابقة، أو هي تكرار لما في المتن، حين يضطر الأستاذ للتكرار والتوضيح بسبب ابهام الفكرة في ذهن الدارس.

وقد رمزنا لكل سؤال من الدارسين بالحرف (س)، فيما رمزنا لأجابة العلامة المطهري بالحرف (ج) في الهامش، ومع كل ذلك لا يزعم المترجم ان عمله بلغ غاية الكمال، وانما يستطيع ان يقول انه بذل ما وسعه في ذلك، وقديما قيل: لو كنت انتظر الكمال لما من فرغت من عملي هذا!

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب.

عبد الجبار الرفاعي

منظومة السبزواري

سيكون محور دراساتنا الفلسفية المقارنة بين الفلسفة الإسلامية وغيرها، كتاب الملا هادي السبزواري المعروف بالمنظومة، وهي منظومة تتألف من قسمين: القسم الأول في المنطق، والقسم الثاني في الفلسفة، وقد شرح السبزواري قسم المنطق واطلق عليه اسم «اللئالئ المنتظمة»، وكذلك قام بشرح قسم الفلسفة وسماه «غرر الفرائد»، لكن استعمال هذين الاسمين هجر وشاع على الألسن اسم الكتاب بالمنظومة «منظومة المنطق، ومنظومة الفلسفة»، وسنعتمد قسم الفلسفة من المنظومة كمتن أساسي في هذه البحوث الفلسفية.

في قسم الفلسفة من المنظومة سعى المؤلف لتقديم خلاصة مكثفة لدوره في الحكمة العملية والنظرية (ولكنها دورة غير كاملة).

والمقصود بكونها دورة غير تامة كونها كذلك بحسب التقسيم الأرسطي القديم المعروف، حيث تقسم الفلسفة إلى:

١ـ الفلسفة النظرية: وهي العلم الذي يبحث عما هو كائن.

٢ـ الفلسفة العملية: وهي العلم الذي يبحث فيما ينبغي أن نعلم.

والفلسفة النظرية تقسم إلى:

أ ـ الإلهيات، ب ـ الطبيعيات، ج ـ الرياضيات.

فيما تنقسم الفلسفة العملية إلى:

أ ـ الأخلاق، ب ـ تدبير المنزل (إدارة الأسرة)، ج ـ سياسة المدن (السياسية).

أما السبزواري فقد ذكر بعض هذه الأقسام بينما ترك الأخرى، حيث بحث قسم الإلهيات بشكل مفصل، وبحث الطبيعيات بصورة مختصرة، واستثنى الفلسفة الرياضية ولم يذكر منها أي شيء، وهكذا في الأقسام الثلاثة للفلسفة العملية، فلم يبحث منها سوى الأخلاق التي ذكرها في آخر الكتاب، وهو يرى أن كتابه «غرر الفرائد» يشتمل على عدة علوم وفنون، بناء على ما هو معروف عند الحكماء المسلمين من أن العلم الإلهي هو علم قائم بذاته، والعلم الطبيعي أيضا بدوره يتضمن عدة علوم، فعلم الهيئة وعلم المعادن وعلم النبات وعلم الحيوان وعلم النفس كلها علوم مستقلة، وقد بحثها السبزواري باختصار في خاتمة المنظومة، بينما توسع في بحث ودراسة القسم المعروف بالحكمة الإلهية.

ما هي الحكمة الإلهية؟

كما يجري اليوم بحث حول مصطلح الميتافيزيقيا، ولماذا يسمى هذا العلم بهذا الاسم؟ كذلك كان هناك سؤال مطروح بين العلماء في السابق وهو: لماذا يسمى علم الحكمة الإلهية بعلم ما وراء الطبيعة، مع ان هذا التعبير ليس صحيحا؟ ولم ينتبهوا إلى الخطأ في ترجمتهم لهذا المصطلح إلى ما بعد الطبيعة، وبدون الالتفات إلى أن هذا الخطأ نتج عن المترجم، كانوا يرون أن هذا التعبير لا ينطبق مع الحكمة الإلهية، وذلك من جهتين:

١ ـ **الجهة الأولى:** هي أن المباحث التي نطلق عليها الحكمة الإلهية لا تختص بما وراء الطبيعة فحسب، إذ إن أكثر مسائلها هي مسائل عامة، وفي الأساس الفلسفة تعني المسائل الكلية، العلم الكلي، أي المسائل التي لا تختص بشيء محدد.

والفرق بين الحكمة الإلهية وباقي العلوم هو أن مسائل العلوم مسائل خاصة فمثلا علم النبات يدرس ما يتعلق بالنبات فقط، ولكن مسائل الفلسفة مسائل كلية تتعلق بالوجود، أي هي المباحث التي لا تختص بشيء خاص.

٢ ـ **الجهة الأخرى:** هي أن ابن سينا يقول في الشفاء: إذا كان لابد من

إطلاق هذا الاسم لماذا يقولون «ما بعد الطبيعة»؟ إذ يجب أن يقولوا «ما قبل الطبيعة» لأن ما وراء الطبيعة متقدم على الطبيعة وليس متأخرا عنها.

ولكن بما أن هذا البحث يعتبر بحثا لفظيا لم يستأثر بالاهتمام الكبير.

لماذا تسمى الفلسفة بالعلم الإلهي؟

لماذا يسمى هذا العلم بالعلم الإلهي؟

لقد كان هذا السؤال سببا في حصول إشكال مهم لدى المحدثين.

عرف العلم الإلهي تارة بأنه: العلم الذي يبحث حول الله وحول الإلهيات، أي الأمور غير الطبيعية.

لكن هذا التعريف خطأ في نظر الحكماء، فليس موضوع هذا العلم الله وما وراء الطبيعة، لأن موضوعه هو الموجود بالمعنى العام، فالله تعالى وما وراء الطبيعة من مسائل هذا العلم.

العرفان هو الذي موضوعه الباري فقط، لأن العرفاء يعتبرون الوجود منحصرا بالله فقط، والفيلسوف الذي يعتبر الموجود غير منحصر بالله سبحانه لا يمكنه القول بأن موضوع هذا العلم هو الله فقط، ولذا يعتبر الموضوع هو الوجود المطلق.

إذن موضوع الفلسفة هو الموجود على الاطلاق، والبحث حول الباري يمثل أحد مسائل هذا العلم.

خطأ السهروردي

وقع شيخ الاشراق شهاب الدين السهروردي في اشتباهين، وتبعه في ذلك صدر المتألهين في «شرح الهداية»[1] وإن كان الأخير لم يقع فيهما في كتبه الأخرى.

---

(١) من المعروف أن كتاب شرح الهداية هو أول كتاب ألفه صدر المتألهين في أيام دراسته.

١ـ **الاشتباه الأول:** هو أن بعض الفلاسفة كأبي ريحان البيروني وآخرين ممن تقدموا على السهروردي بحثوا حول معنى كلمة الفيلسوف والفلسفة، والتي هي كلمة يونانية مركبة من «فيلو» و«سوفيا»، ولكن من غير المعروف من أين أتى السهروردي بهذا البيان القائل بأن الفلسفة تعني: التشبه بالحق، كما وردت هذه الفكرة في غير كتابات السهروردي، وبعد ذلك ذكرها صدر المتألهين في أحد كتبه متأثرا بالسهروردي، مع أن هذا القول لا أساس له. وتبين اليوم أن هذا المصطلح ذو اصول وجذور يونانية.

٢ـ **الاشتباه الثاني:** كان شيخ الاشراق يطلق الفلسفة الأولى على الأمور العامة فقط، والسؤال هو: أن كلمة الفلسفة الأولى والتي استعملها أرسطو وابن سينا فيما بعد هل يجب أن تطلق على الأمور العامة فقط، والتي هي قسم من الفلسفة الإلهية، أم على كل الفلسفة الإلهية؟

الحق أن الفلسفة الأولى تطلق على كل الفلسفة الإلهية، وقد استعملها أرسطو بنفس هذا المعنى كما ثبت ذلك. وهنا وقع شيخ الاشراق في خطأ آخر عندما أطلق الفلسفة الإلهية على الأمور العامة فقط وتبعه صدر المتألهين في كتاب «شرح الهداية»[1].

أقسام الحكمة الإلهية

تنقسم الحكمة الإلهية (وليكن اسمها، أي اسم من هذه الأسماء: الميتافيزيقيا، ما بعد الطبيعة، العلم الإلهي، العلم الكلي، الفلسفة العامة،

---

(١) س: أين كان يضع شيخ الاشراق وأمثاله من الفلاسفة المتقدمين الذين وقعوا في هذا الاشتباه مبحث الإلهيات بالمعنى الأخص؟ هل كانوا يضعونها بضمن الفلسفة الوسطى؟

ج: كلا، لقد كان خطؤهم بالفلسفة الأولى فحسب، حيث تصوروا أننا عندما نقول: الفلسفة الكلية نعني كل الفلسفة، وعندما نقول الفلسفة الأولى نعني فقط قسم الأمور العامة، وهذا الاختلاف ليس مهما لأنه اختلاف في المصطلح فقط.